سياسة مدحت باشا تجاه الخليج العربي

(١٢٨٦ ـ ١٢٨٩هـ) ـ (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢م)

ترجع علاقة العثمانيين بالخليج العربي الى عهد السلطان سليمان القانوني الذي كان قد ارسل الى الخليج العربي حملة بحرية بقيادة محمد فروخ باشا الذي استطاع انتزاع اقليم الاحساء[١] من ايدي البرتغاليين ، فاحتلت قواته القطيف عام ٩٥٨هـ/ ١٥٥٠ ثم زحفت بعد ذلك الى الهفوف عاصمة الاحساء فاحتلتها ، وعين ذلك القائد حاكما للاحساء فبنى في عاصمتها مسجدا عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٠م عرف فيما بعد باسم مسجد الدبس[٢] . وتلاه في حكم الاحساء عدد من الحكام الاتراك العثمانيين كان آخرهم عمر باشا الذي اطاحت به ثورة محلية قادها براك بن غرير زعيم بني خالد عام ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م . الذي قام بطرد العثمانيين من الاحساء وأسس اسرة حكمت البلاد حتى عام ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م حين تمكن السعوديون من القضاء عليها ، وادخال الاحساء ضمن اقاليم دولتهم الاولى[٣] . واتخذوا منها قاعدة للتوسع في بلدان الخليج وجنوب العراق ، مما اثار حفيظة الدولة العثمانية ، فحاولت استرجاعها من السعوديين اكثر من مرة ولكنها فشلت





بقلم
الدكتور
اسماعيل
ياغي
(السعودية)

في ذلك[٤] . واخيرا لجأت الى عاملها على مصر آنذاك «محمد علي باشا» فاحتل الدرعية عام ١٢٣٤هـ/١٨١٨م. ثم زحفت قوات ابنه ابراهيم باشا الى الاحساء فأدخلها في دائرة نفوذه

، ولكن تلك القوات اضطرت في العام التالي ١٢٣٥هـ/١٨١٩م الى مغادرة الاحساء تحت ضغط الدولة العثمانية ، وبتأثير من والي الدولة العثمانية على العراق الذي كان يعطف

على شيوخ بني خالد ، ويحاول ارجاعهم الى حكم الاحساء نوابا عن الدولة العثمانية والباب العالي . ولقد تم له ذلك ، الا ان الاقليم شهد بعد ذلك صراعا عنيفا بين القوى المحلية حتى عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م حين عادت القوات المصرية بقيادة « خورشيد باشا » فاحتلت الاقليم ثانية وحاولت ان تتخذ منه قاعدة للتوسع في بلدان الخليج ، ولكنها اضطرت ايضا الى الانسحاب من الاحساء تحت ضغط بريطانيا التي رأت في الوجود المصري تهديدا للنفوذ البريطاني في المنطقة .

ولقد ساعدت الدولة العثمانية في الضغط على « محمد علي » لكي ينسحب من الاحساء ، لأنها كانت تشعر بان وجود القوات المصرية فيها يشكل خطرا جسيما على وجودها في العراق[٥] .

وعلى أثر انسحاب القوات المصرية ، حاول العثمانيون جهدهم ان يحلوا محل الحكم المصري في شبه الجزيرة العربية وخاصة اقليم الخليج العربي ، ولكن بعد عزل والي العراق العثماني آنذاك « علي رضا » سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م الذي كان يعطي ذلك الموضوع اهتماما خاصا ، قل اهتمام العثمانيين بأمور الخليج العربي ، فتركوا بذلك الباب مفتوحا لتدخل الطامعين في شؤون هذا الاقليم من امثال بريطانيا وفارس[٦] ، ولقد بدا ذلك واضحا عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧ حينما اصدرت الدولة العثمانية « فرمانا سلطانيا » يسمح بتفتيش السفن التي يشتبه بانها تعمل في الاعتداء على السفن الاجنبية . وكانت الدولة العثمانية قد اصدرت في حينه ايضا تعليماتها الى والي العراق ، لكي يعمل ما في وسعه لقمع مثل تلك الاعمال ، وكان ذلك ينذر بأن العثمانيين ربما ارسلوا الى مياه الخليج اسطولا لكي يشارك في الاشراف على التفتيش البحري عن المعتدين ، مما دعا « هينل » المقيم البريطاني في الخليج الى ان يحتج على ذلك زاعما ان الدولة العثمانية تهدف من وراء ذلك الى تقوية نفوذها على سواحل الخليج . وجاءت معارضة بريطانيا هذه لتكشف لنا تراجع الدولة العثمانية عن الاهتمام بأمور بلدان الخليج ، اذ لم تقابل ذلك الاحتجاج بتنفيذ سياستها التى اعلنت عنها ، بل تركت لبريطانيا القيام بدور البوليس البحري وشرطي المرور في مياه الخليج العربي[٧] .

استراتيجية الدولة العثمانية في الخليج (١٢٨٧ ـ ١٣٣٢هـ) ـ (١٨٧٠ ـ ١٩١٣م)

في اعقاب حرب القرم ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م ، أعاد العثمانيون بناء جيوشهم على اسس حديثة ، وزودوها بأسلحة متطورة ، وذلك بفضل

المساعدات المالية التي قدمتها بريطانيا لهم . فاختطت الدولة العثمانية سياسة جادة لتوطيد نفوذها في جزيرة العرب في عهد السلطان العثماني عبدالعزيز ١٢٧٨ - ١٢٩٤هـ - ١٨٦١ - ١٨٧٦م . وتقوم هذه السياسة على الاسس والركائز الآتية :

١ - امتلاك الدولة العثمانية لاسلحة وقوة لم يسبق لها مثيل من قبل ، جعل الدولة تقرر اخضاع المناطق النائية من الامبراطورية ، الامر الذي أدى الى مضاعفة الدولة العثمانية لحامياتها في كل من الحجاز وعسير واليمن ، مع التركيز على المناطق الساحلية ، وبخاصة مناطق شرقي جزيرة العرب ، وكانت فكرة الدولة العثمانية ترمي الى تطويق جزيرة العرب من جميع سواحلها لتمنع التدخل الاجنبي في شئونها ، وهذا يوضح مدى التطلعات العثمانية في رسم استراتيجية جديدة اقوى في الجزيرة العربية[٨] .

٢ - رغبة الدولة العثمانية في وقف تسلل النفوذ البريطاني في منطقة الخليج العربي . وذلك بعد ان رأى السلطان عبدالعزيز اهتمام الدول الاوروبية ببلدان الشرق العربي على اثر فتح قناة السويس سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م[٩] .

٣ - رغبة السلطان العثماني في اخضاع القبائل على حدود بلاده ، وكذلك اخضاع المناطق النائية من الدولة .

٤ - اعتبر السلطان العثماني نفسه وارثا للخلافة العربية الاسلامية ، الأمر الذي بنى عليه ملكيته لشبه الجزيرة العربية . لذا نجده يجرد حملة على الاحساء في نفس الوقت الذي يجرد فيه حملة على اليمن من اجل احكام الطوق على الجزيرة لمنع التدخل الاجنبي الدولي في شئونها .

٥ - تعيين مدحت باشا[١٠] . رجل الدولة القوي والطموح واليا على العراق العثماني ، مع اطلاق يده بكل حرية في بسط نفوذ الدولة العليا في الاتجاه الذي يراه الوالي مناسبا لاستراتيجية الدولة في المنطقة[١١] .

٦ - عودة الاهمية التجارية الى طريق الخليج العربي وطريق البحر الاحمر بعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م ، مما زاد من التنافس الدولي للسيطرة على هذه الطرق الهامة .

وهناك عدة عوامل ساعدت الدولة العثمانية للعودة الى الخليج وهي :

١ - الصراع على السلطة في نجد بين ابني فيصل بن تركي : عبدالله وسعود ، حيث قدم الصراع فرصة سانحة لمدحت باشا لكي يحقق

اهدافه ، خاصة عندما استنجد عبدالله بن فيصل بوالي بغداد لاعادته الى العرش بعد ان اقصاه اخوه سعود ، فأعد والي بغداد حملة عسكرية لارسالها الى الاحساء ونجد هدفها الظاهري اعادة عبدالله الى الحكم لأن الدولة العثمانية اعتبرته حاكما شرعيا معينا من قبلها كقائمقام لنجد وتوابعها . وليس هذا فحسب ، بل ان الدولة العثمانية اعتبرت فيصل بن تركي قائمقاما عثمانيا وان السلطات الانجليزية لم تستطع انكار ذلك ، وهكذا يمكن اعتبار عبدالله وريث فيصل بن تركي تابعا للدولة العثمانية بالوراثة كقائمقام من وجهة النظر العثمانية ، كما ان فيصل كان يدفع مبلغا من المال للدولة العثمانية [١٢].

٢ ـ عمل مدحت باشا منذ توليه ولاية بغداد على تبني فكرة رجال الاصلاح العثمانيين الذين كانوا يدعون إلى التوجه بانظارهم الى الاقطار الآسيوية من الامبراطورية لكي يعوضوا ما خسرته الدولة في البلقان . وأخذ مدحت على عاتقه مد سيطرة الدولة العثمانية على بلدان الخليج ، ولكي يحل النفوذ العثماني المباشر محل السعوديين في حكم الاحساء ونجد .

٣ ـ تعتبر الدولة العثمانية نجد وملحقاتها جزءا من الامبراطورية العثمانية كالحجاز واليمن وعسير ، دل على ذلك احتجاج والي بغداد « احمد توفيق باشا » عام ١٨٦١م الى « كمبول » القنصل البريطاني في بغداد بشأن مهاجمة الانجليز لميناء الدمام والاعتداء عليه وقد صرح والي بغداد في احتجاجه بأن فيصل بك قائمقام عثماني وان الدمام اراض عثمانية لا يحق للبريطانيين مهاجمتها [١٣] .

وكان كمبول قد ارسل نسخا من تلك الرسالة مع تعليقه عليها الى كل من السفير البريطاني في القسطنطينية والي حاكم الهند ، وقد اكد في رسالته انه لا يستطيع انكار ان الامير السعودي تابع للدولة العثمانية وان منطقة الدمام تابعة له [١٤] .

٤ ـ في عامي ١٨٦٩ ، ١٨٧٠ جرت احداث هامة ، ففي السنة ١٨٦٩ تم افتتاح قناة السويس وبذلك تم ربط البحر المتوسط بالبحر الاحمر وربط قارتي آسيا وافريقيا بأوربا ، كما شهد العام ١٨٧٠ ظهور دولتين اوربيتين استعماريتين هما المانيا وايطاليا ودخلتا الميدان الاستعماري ، لذا فان الدولة العثمانية رأت أن تعيد سيطرتها في آن واحد على كل من اليمن وعسير في

البحر الاحمر والاحساء في الخليج في عام ١٨٧١ لتطويق الجزيرة العربية وحمايتها من الاستعمار الاجنبي .

٥ - قيام الدولة بتطبيق الاصلاحات في الدولة وخاصة التنظيمات العسكرية التي قامت بها الدولة في اعقاب حرب القرم (١٨٥٢ - ١٨٥٦م)[١٥] . هذا بالاضافة الى العناية الخاصة التى اولتها الدولة العثمانية للشئون العامة في ولاياتها الشرقية ، بعد ان ساد ولاياتها في اوروبا جو من الهدوء النسبي على اثر حروب خاضتها الدولة في الداخل والخارج . وندلل على هذا بما ذكره مدحت باشا في منشوره الى اهالي الاحساء عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م حين يقول ان الدولة العثمانية لم يكن لديها وقت تلتفت فيه إلى الحوادث الجارية في قلب جزيرة العرب وذلك « لكثرة المحاربات الواقعة في جميع الجهات ..»[١٦] .

استعدادات مدحت باشا لاحتلال الاحساء والخليج :

نفذت الدولة العثمانية من خلال واليها على العراق مدحت باشا خطتها لاحتلال الاحساء بمنتهى السرعة للاسباب الآتية :

١ - الخوف الشديد من التدخل البريطاني في المنطقة ، وبخاصة بعد قيام بريطانيا بمد يد العون والمساعدة للامير سعود عن طريق حاكمي مسقط والبحرين . ورأت الدولة العثمانية ان نجاح بريطانيا في مثل هذه المهمة ، يعني تحكمها مستقبلا في مصير العراق العثماني .

٢ - ادعت الدولة العثمانية ان الامير سعود بن فيصل يعتدي على قوافلها التجارية .

٣ - وادعت كذلك انها تريد وضع حد للفوضى السياسية في نجد[١٧] .

وهكذا بدأ مدحت باشا يعد العدة لاحتلال الاحساء والخليج ، واجرى استعدادات للحملة بصورة سرية وبتكتم شديد وبسرعة فائقة على غير عادة الولاة العثمانيين ، اذ حذر مدحت اتباعه من وصول المعلومات للانجليز ، فلم يعلم بها قنصل الانجليز في بغداد ، وكانت السلطات البريطانية قد علمت بهذه الاستعدادات في اواخر عام ١٨٧٠م ، فاستفسرت عن ذلك ، فأكد الصدر الأعظم عالي باشا ان ليست هناك اية نية في احتلال اي مركز في الخليج او القيام بأي حملة عسكرية[١٨] .

أرسل مدحت باشا الى الاحساء بعض عيونه ، واشترى لهم سلعا ، فذهبوا الى هناك على هيئة تجار ، حيث اقاموا هناك شهرين ، رصدوا

خلالهما تحركات قوات «سعود بن فيصل» ووقفوا على اخبار مواقعها وقلاعها وتحصيناتها، وعادوا الى مدحت باشا يقدمون نتائج رحلتهم تلك ليكون على علم تام باتجاه قواته في سيرها والاماكن التي سترسو فيها سفن الحملة، والقلاع التي ستهاجمها، والطرق التي ستسلكها، وكان بذلك يضمن انه لا يرسل تلك الحملة الى المجهول، ويتركها فريسة لغارات البدو، ومجاهل الصحراء، وكمائن قوات سعود بن فيصل[١٩].

وهكذا كانت الامور قد افلتت من ايدي السلطات البريطانية التي حاولت جهدها ان تمنع ارسال تلك الحملة، ولكنها عندما تأكدت ان لا مفر من ذلك راحت تستفسر في هذه المرة عن وجهة الحملة وقد انتاب السلطات البريطانية قلق شديد، لأنها كانت قد تلقت في مارس من العام الماضي ١٨٧٠م تصريحا خطيرا لمدحت باشا اعتبر فيه ان البحرين تابعة لنجد، وانها بدورها تابعة للدولة العثمانية[٢٠]. ولذا اصبحت مهمة السلطات البريطانية ان تعرف قبل كل شيء اذا كانت الحملة ستتعرض للبحرين ام لا؟ وبالرغم من ردود السلطات العثمانية المطمئنة الا ان الشكوك ظلت تساور الانجليز تجاه نوايا العثمانيين. وقدموا للصدر الاعظم مذكرة حول كراهية مدحت باشا للنفوذ البريطاني في الخليج[٢١].

والواقع ان مدحت باشا كان يعتقد جازما بأن السلطات البريطانية تقدم المساعدات «لسعود بن فيصل» لتثبيت اقدامه في الاحساء ونجد، ولكي يكون لها النفوذ الكامل في مياه الخليج خاصة بعد ان عقدت مع قطر معاهدة ١٨٦٨م. وبذلك اصبحت الامارات الواقعة على الساحل الغربي للخليج من مسقط جنوبا الى البحرين شمالا ترتبط بمعاهدات مع الدولة البريطانية، ولم يبق الا سواحل الاحساء وامارة الكويت، حيث كانت هذه الاجزاء غير مرتبطة بالانجليز وبامكانه ان ينطلق منها لتوسيع نفوذ بلاده في الخليج. وكان مدحت باشا قد اعلن صراحة في ابريل عام ١٨٧١ ان السيادة العثمانية اصبحت ممتدة لتشمل نجدا، وان حملة ستزحف لتثبيت «عبدالله بن فيصل» كقائمقام عثماني، وأكد مدحت ان الهدف من الحملة ليس الاستيلاء على نجد، بل لتوثيق الروابط القائمة بينها وبين الدولة العثمانية، وكبح جماح سعود بن فيصل وانهاء اعماله العدوانية[٢٢].

وسنتناول الآن سياسة مدحت باشا تجاه كل من امارات الخليج من اجل توطيد نفوذ الدولة العثمانية وانجاح خطته باحتلال الاحساء واعلان تبعية الكويت للدولة العثمانية .

مدحت باشا والكويت[٢٣]

أخذ مدحت باشا يعمل منذ وصوله الى بغداد على بسط سيادة الدولة العثمانية على كافة اقطار الخليج ومنها امارة الكويت ، وقد حاول قبله الوالي نامق باش ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م ان يحول سيطرة الباب العالي الاسمية على الكويت الى سيطرة فعلية . وطلب لهذا الغرض سفينتين من الآستانة ، غير ان ذلك لم يتم لرفض اهل الكويت دفع الضرائب ، هذا بالاضافة الى رغبتهم في الاستقلال . وقد اكد قبل ذلك عام ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م الشيخ صباح شيخ الكويت للمقيم السياسي البريطاني ان حكام الكويت كانوا دائما يدفعون الضريبة لتركيا[٢٤].

وكان معظم اصحاب السفن في الكويت يلجأون الى رفع الاعلام الاجنبية وبخاصة الاعلام الانجليزية حتى يتمتعوا بالامتيازات الممنوحة للرعايا الانجليز في ولاية بغداد[٢٥] .

وفي اثناء زيارة مدحت باشا للكويت في العام التالي لولايته على الكويت قضاء عثمانيا تتوارثه اسرة آل صباح. ونص الفرمان على أن يقوم شيخ الكويت الذي يحمل لقب القائمقام بتنظيم شئونه الداخلية وأن ترفع السفن الكويتية العلم العثماني وتعهد لأصحاب هذه السفن بألا يأخذ منهم ضرائب أو جمارك [٢٦] .

وعين في الكويت مأمور للحجر الصحي من قبل الدولة العثمانية اسمه ابراهيم افندي وظلت الكويت خاضعة للنفوذ العثماني حتى عام ١٣١٧هـ/١٨٩٩م حيث ارتبطت بمعاهدة مع الانجليز وقعها الشيخ مبارك بن صباح شيخ الكويت مع ممثل بريطانيا[٢٧] .

ويبدو ان هناك عدة اسباب دعت الكويت الى قبول التبعية العثمانية غير المباشرة . وراحت بناء على ذلك تشارك مشاركة فعاله في حملة الاحساء وكان لها دور هام في انجاحها ، واهم تلك الاسباب هي :

١ ـ ان شيوخ الكويت كانوا لا يرغبون في الانفصال عن الرابطة الاسلامية التي جسدتها الدولة العثمانية .

٢ ـ ان شيوخ الكويت كانوا يملكون اراضي في البصرة ، وكان العثمانيون يهددون بقطع ايراداتها عندما تتعارض سياسة شيوخ الكويت مع

سياستهم .

٣ ـ ان الكويت كانت تخشى معارضة الدولة العثمانية ، خاصة ان الكويت آنذاك لم تكن مرتبطة مع دولة كبرى بمعاهدة حماية تجيز لها التدخل لحمايتها عندما تتعرض للخطر .

٤ ـ ادرك مدحت ما لأسطول الكويت من فاعلية ، وما لشيوخها من تأثير على بلدان الخليج ، فاستغل ذلك لانجاح حملته[٢٨] .

وأيا ما كان الأمر . فأن تبعية الكويت لم تكن مباشرة تماما كما هي الحال بالنسبة للاحساء ، فلقد ترك مدحت باشا شؤون الكويت الداخلية لشيخها يصرفها حسب تقاليد البلد ، ولقد علل مدحت باشا عدم التدخل في شؤون الكويت بأن هذا البلد ينعم بالاستقرار ، ويطبق الشريعة الاسلامية في احكامه وانه ليس بحاجة الى قوة ضابطة عثمانية[٢٩] .

وكان مدحت باشا قد اسقط حق عبدالله بن فيصل من الاحساء بعدما علم بهربه ورفضه العودة لمقابلته ، فقرر مدحت باشا اعادة الاحساء الى السيادة العثمانية المباشرة فأصدر اوامره بانهاء حق عبدالله في السيادة على الاحساء[٣٠] .

راح مدحت باشا بعدئذ يضع تشكيلا اداريا جديدا للاقليم اصبحت الاحساء بموجبه متصرفية يطلق عليها اسم «لواء نجد» وعين قائد حملته الفريق محمد نافذ باشا متصرفا للاقليم ، وقسم ذلك اللواء الى ثلاثة اقضية هي : الهفوف وهي مركز اللواء ومكان اقامة المتصرف ثم قضاء القطيف وقضاء قطر ، وجعل من قضاء القطيف مركزا لتمويل الاقضية الثلاثة الأخرى، وعين على قضاء قطر « جاسم ثاني » كقائمقام ويساعده قائد عثماني يشرف على الحامية العثمانية هناك[٣١] . وقد ذهب بعض الباحثين ان تلك التشكيلات الادارية شملت الكويت اذ جعلوها تتبع متصرفيه الاحساء . وايدهم في ذلك الدكتور/عبدالعزيز نوار في كتابه (تاريخ العراق الحديث) اذ قال : ... وكانت البصرة خلال عهد مدحت باشا متصرفية وكذلك نجد . وكانت متصرفية البصرة تنقسم الى :

أ ـ البصرة
ب ـ المنتفق
جـ ـ العمارة[٣٢] .

وأما متصرفيه نجد فكانت تضم الكويت والاحساء[٣٣] .

ويبدو ان ضم الكويت الى متصرفية الاحساء قبل احتلال العثمانيين الأخير يكشف لنا ان مدحت كان قد خطط مع الباب العالي فاستصدر فرمانات خاصة بذلك بعد ان نالت

رضا حكومة الآستانة المسبق ، وربما كانت هذه الانباء هي التي جعلت « عبدالله بن فيصل.» يهرب من الاحساء قبل ان يصلها مدحت وقبل ان يعلن عن التغييرات الادارية هذه ، لأن عبدالله كان قد ترك لنافذ باشا خطابا يخبره فيه بأن العثمانيين قد غدروا به وانتزعوا منه السلطة بدلا من ان يعيدوها له(٣٤) . وسنتناول الآن سياسة مدحت باشا ازاء الاحساء وارساله الحملة العسكرية لاحتلالها واعادة السيطرة العثمانية عليها .

مدحت باشا والاحساء :

منذ وفاة فيصل بن تركي(٣٥) امام الدولة السعودية الثانية وتولي ابنه عبدالله بن فيصل الحكم ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م ، بدأت الفتنة بين اولاد فيصل ، فقد شق سعود عصا الطاعة في وجه أخيه عبدالله ، وفي سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م أعلن الحرب على اخيه واستمرت الحروب بينهمافترة طويلة من الزمن انتهت بانتصار سعود واستيلائه على الحسا ، واحتلت عساكره قلاع « الهفوف » و« المبرز » و« القطيف » . ثم تقدم الى بلدة الرياض عاصمة نجد ، وكان عبدالله معسكرا فيها فأصبح الأخير في موقف حرج فلم ير لنفسه ملجأ سوى الاستعانة بمدحت باشا والي العراق حيث ارسل له رسالة مع رسول يستنجده ضد أخيه(٣٦) ، وقد لاقى طلب عبدالله بن فيصل عند مدحت كل ترحيب وقبول ، وذلك ان الدولة العثمانية في عهد السلطان عبدالعزيز ١٢٧٨ ـ ١٢٩٣هـ/ ١٨٦١ ـ ١٨٧٦م كانت تسعى الى تركيز دعائم الحكم في شبه جزيرة العرب خاصة بعد فتح قناة السويس سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م مما هيأ للاسطول العثماني الالتفاف حول بلاد العرب للوصول الى الخليج العربي(٣٧) بعد ان قربت قناة السويس المسافة بين تركيا والجزيرة العربية .

وكان مدحت باشا قد وضع خطة محكمة ترمي الى ضم جميع الامارات العربية المستقلة في نجد وسواحل الخليج العربي الى الدولة العثمانية(٣٨) . لذا رأى في استنجاد عبدالله فرصة مناسبة لتثبيت سيادة الدولة العثمانية على الساحل الشمالي للخليج العربي بحجة اعادة الامن الى نصابه في ممتلكات السلطان النائية ، وبحجة ان سعودا اذا ما تمكن من الانتصار على أخيه فانه سيعمل على ادخال البلاد تحت حماية حلفائه الانجليز ، مما يؤدي الى اتاحة الفرصة للحكومة البريطانية للتحكم في

العراق ، وتظاهر مدحت ان الهدف من حملته هو تقديم العون لعبدالله الذي حل اخوه سعود محله في الرياض[٣٩] .

كتب مدحت باشا الى الباب العالي وشرح له هذه المسألة الحيوية فوضعها الصدر الاعظم عالي باشا على بساط البحث في مجلس الوكلاء ، واخيرا اعطى مدحت باشا التأمينات اللازمة وأرسلت له حكومة الآستانة باخرتين هما لبنان واسكندرية وأمرت آلايا (لواء) من مشاة الفيلق الخامس بالسير الى بغداد ليحل محل عساكر فيلقها الذين سيتوجهون الى نجد طبقا لاشارة مدحت باشا . وقبل ان يرسل مدحت قواته الى الحسا اراد الوقوف على قوة أهله وعددهم ومواقعهم فأرسل بعض الجواسيس والعيون بزي تجار ليستطلعوا الأمر ، وأقاموا في الحسا مدة شهرين وقفوا خلالهما على قوة سعود الحربية وقلاعه وعدد رجاله ، والاماكن التي يمكن ان تقف فيها السفن ، وعادوا بهذه المعلومات الى مدحت باشا[٤٠] .

ورغم السرية التامة التي كان مدحت باشا يحرص عليها في هذا الصدد ، فقد استطاعت كل من حكومة الهند ولندن الاحاطة بتفاصيل تلك الحملة عن طريق القنصل البريطاني في مصر ، وعن طريق الكولونيل هربرت القنصل البريطاني في بغداد ، وقد تحرجت بريطانيا من هذه الحملة وأحدثت قلقا شديدا في دوائرها[٤١] .

ويرجع تخوف بريطانيا وقلقها من حملة مدحت باشا على الاحساء الى العوامل الآتية :

١ ـ خشية بريطانيا من ان تقوم الدولة العثمانية بالسيطرة على طول السواحل الغربية في الخليج وايصالها بالسواحل العربية للبحر الاحمر من اجل احكام الحصار حول جزيرة العرب .

٢ ـ خشية بريطانيا من قيام فارس بابقاء اسطولها في الخليج لتحقيق مطالبها فيه اسوة بتركيا .

٣ ـ خشية الحكومة البريطانية من قيام تركيا بمهاجمة فارس من الخليج .

٤ ـ ان نجاح الحملة في القضاء على قوة سعود سيمكن الدولة العثمانية من بسط نفوذها في الخليج ولن تستطيع بريطانيا منع السيادة العثمانية على الخليج[٤٢] وبريطانيا تسعى للسيطرة على الخليج بدون منازع .

وأيا ما كان الأمر ، فبالرغم من قلق بريطانيا أعلن مدحت باشا بصراحة سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م بأن السيادة العثمانية اصبحت ممتدة الى نجد ،

وأكد مدحت باشا بأن هدف هذه الحملة ليس الاستيلاء على نجد وانما هو توثيق الروابط القائمة بينها وبين الدولة بابقاء سيادة الدولة عليها ، وتوطيد دعائم الامن بالقضاء على اعمال سعود العدوانية[٤٣] .

حملة مدحت باشا على الاحساء

تحركت قوات مدحت باشا سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م[٤٤] وكانت تتكون من خمسة طوابير من المشاة مع بعض الفرسان ورجال المدفعية تحت قيادة الفريق نافذ باشا[٤٥] وبمساعدة ناصر باشا السعدون شيخ المنتفق ، كما اشتركت الكويت في تزويد هذه الحملة بقوات من المتطوعين ، بالاضافة الى اكثر من ثمانين سفينة من سفنها لنقل اللوازم الحربية ، كما ساعد الكويتيون الحملة بقوتين : الاولى بحرية بقيادة عبدالله بن صباح والثانية برية بقيادة مبارك اخو الشيخ عبدالله[٤٦] واشتركت ايضا قبيلة بني خالد انصار عبدالله في هذه الحملة ، وتقدمت هذه القوات الى رأس تنورة ، ومنها الى القطيف التي تحصن بها أعوان سعود ، ولكن القوات العثمانية دخلتها بسهولة[٤٧] .

وبعد ذلك اتجهت القوات العثمانية الى المبرز والهفوف وقد سلمت كالقطيف وبذلك سقطت قاعدة الاحساء ورفع العلم العثماني عليها[٤٨] . ثم اتجهت القوات العثمانية الى قلعة عنك فسلمت لهم ومنها الى قلعة الدمام وكان المأمور عليها من قبل سعود بن طحنون الذي سلم بعد مقاومة بسيطة ودخلها الجيش وكان محمد الفيصل مسجونا في هذه القلعة ، وقد اطلق الجيش العثماني سراحه[٤٩] ولعل السبب في سرعة تقدم القوات العثمانية في الاحساء هو ان سعودا كان يعتمد على بعض القبائل وكان هؤلاء قد أساءوا معاملة سكان الاحساء فكانت الكراهية لهم مسيطرة على اهالي الاحساء الذين تخلوا عنهم ورحبوا بالحكم العثماني وتعاونوا معه[٥٠] .

وبعد ان تم لمدحت باشا الاستيلاء على مقاطعات الاحساء اطلق عليها اسم لواء نجد[٥١] وذلك وفق خطة احتلال نجد كلها . ولذا فانه عين عبدالله الفيصل قائمقاما على نجد ، كما ارسل الى منطقة الاحساء قوة من رجال الضابطة (الامن) ونائبا للشرع ومأمور مالية ، فأدرك عبدالله الفيصل بأن حملة الاحساء لم يكن هدفها حمايته من اخيه واعادته الى الحكم نائبا عن السلطان العثماني

وخاب ظنه ببقاء القوات العثمانية في الاحساء وابعاده عن سلطاته الادارية[٥٢] ، ولذا فان عبدالله هرب من الاحساء ورفض قبول دعوة مدحت باشا له بالعودة لمقابلته ، الامر الذي حفز مدحت باشا على زيارة الاحساء للاطمئنان على الحملة ودراسة الاوضاع عن كثب وذلك لتطبيق الادارة العثمانية في الاقاليم الاحسائية والنجدية[٥٣] .

وأيا ما كان الامر فقد استقرت القوات العثمانية في الاحساء ، وكان عددها يبلغ نحو ٣٤٠٠ جندي ، وكانوا موزعين على النحو التالي ٢٥٠٠ جندي في الهفوف و ٥٠٠ جندي في القطيف و ١٥٠ جنديا في مواقع صغيرة متفرقة على الطريق[٥٤] غير ان هذه القوات ما لبثت ان تناقصت بسبب الامراض التي تفشت بين الجنود ، واصابت الحمى عددا كبيرا منهم ، هذا بالاضافة الى رداءة التجهيزات . ويذكر لوريمر ان ثلث هذه القوات كانوا من الجنود المرضى غير القادرين على العمل ، وسجل القائد التركي اسماء ٩٠٠ رجل من اهل البلاد كجنود اتراك في مقابل ست روبيات في الشهر لكل منهم ، فلما بلغ مدحت باشا الخبر عزم على السفر الى الاحساء للتفتيش على الجيش وتدعيمه ببعض الامدادات اللازمة[٥٥] .

وكان سعود قد استعان بالقبائل وبحكام البحرين ، مما حدا بمدحت باشا على التوجه الى الاحساء لتثبيت قواعد حكمه قبل استفحال امر سعود[٥٦] . واما عبدالله الفيصل فقد هرب من الاحساء واتجه الى الرياض ورفض العودة لمقابلة مدحت باشا مما اسقط حقه في الحكم كقائمقام . وكان عبدالله الفيصل يأمل ان يحكم نجد والاحساء باسم آل سعود على ان يتبع الدولة العثمانية تبعية اسميه فخاب ظنه فيما اراد .

وفي منتصف شهر شعبان ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م سافر مدحت باشا الى الاحساء ليرى نتيجة عمله بأم عينيه ، وقد توجه من شط العرب الى الكويت حيث قضى فيها يوما ومنها توجه في ثلاث سفن تجارية تحمل قوارب كبيرة الى القطيف ، وفي ٢١ من الشهر نفسه نزل على رأس فرقة عسكرية مكونة من ٣٠٠ جندي الى العقير ومنها سار الى الهفوف . وتهدف هذه الزيارة الى التحقيق في بعض اتهامات التخريب وان يقرر الادارة في الاحساء ثم يضع ترتيبات لتقدم القوات التركية الى الرياض ، ولكنه وجد حامية الاحساء في حالة يرثى لها بسبب انتشار الامراض بينهم ، فأصبحت لا تستطيع الدفاع

عن نفسها . وقد ذكر مدحت باشا في تقرير رفعه الى الصدر الاعظم ان قواته اشتبكت مع قوات سعود الفيصل المؤيد من عرب العجمان وآل مرة والبالغ عددها اكثر من سبعة آلاف شخص وقد انهزموا وقتل منهم ٥٠٠ الى ٦٠٠ شخص وجرح من جيش مدحت باشا حوالي سبعة الى ثمانية انفار الى جانب شهيدين[٥٧] .

حاول مدحت باشا اقناع عبدالله الفيصل بالعودة وتسلم وظيفته « قائمقام » غير انه رفض ، ولذلك فقد عزل بأمر من مدحت باشا[٥٨] .

أصدر مدحت باشا وهو في الاحساء اعلانا الى الاهالي في جمادى الآخرة سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م وعد الاهالي فيه باسقاط الرسومات التي تؤخذ منهم بمختلف انواعها والاقتصار على الزكاة والعشر الشرعي ، ووعد المخالفين لهذه الاوامر بالجزاء الشديد . وهذا نص الاعلان : « قد اسقطنا الرسومات التي تؤخذ من الاهالي باسم الجهاد وخدمات المأمورين على تحصيل الزكاة والزيادة في الحرص المخالف للاحكام الشرعية ، ومراد الدولة العلية ترقية احوال التبعة وزيادة ثروتهم ، وامرنا بالغائها وعدم اخذها ، ونبهنا المأمورين بعد تحليفهم على عدم الزيادة على الواجب الشرعي ..[٥٩] .

وقد تعرضت القوات العثمانية في الاحساء لهجمات عديدة من سعود الفيصل ، الا ان تلك القوات العثمانية كانت تتغلب عليه وتهزمه بالرغم من كثرة اتباعه من القبائل ، مما فت في عضد القوات العثمانية في الاحساء[٦٠] .

وقد رفع مدحت باشا تقريرا عاما مطولا الى الصدر الاعظم بتاريخ ٢١ شوال ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م ذكر فيه ان منطقتى الاحساء والقطيف هما من اخصب مناطق نجد ، وذكر انه قرر جباية عشر المحصول وحث في تقريره على زيادة الاراضي المزروعة بدلا من تركها بورا ، وأصدر تعليماته بتعمير هذه الاراضي . كما اوصى بانشاء عدد من الابراج والمخافر والثكنات وغيرها من مبان لازمة للجنود والموظفين في الاحساء والقطيف ، ورفع مدحت الى حكومته في الآستانة مذكرة تتضمن بيان المصروفات اللازمة لهذه المشروعات وغير ذلك من الرواتب . وقد وافق السلطان على ما جاء في هذه المذكرة واحالها الى وزارة المالية لاكمال اللازم[٦١] .

وقد وصل مدحت باشا وهو في نجد برقية من وزارة الداخلية ، تطلب فيها ضغط ميزانية نجد ، وقد رد مدحت باشا بتقرير مؤرخ ٢١ شوال ١٢٨٨ هـ ذكر فيه انه ابقى جزءا يسيرا من

الجنود والخيالة قوامه تسع كتائب من مجموع ٧٣ كتيبة ، وجزءا من الموظفين وسرح الباقي ، وذكر كذلك انه انشأ اكثر من ستين مخفرا لطابور من الجنود ، وستبلغ مصاريف هذا الطابور ١٥ حمولة قرش ، وقد رابطت اربع كتائب من هذه العساكر المسرحين فيها لادارة شؤون الحدود[٦٢] .

وذكر مدحت باشا انه نتج عن ضغط الميزانية توفير ١٦ حمولة وكذا ألف قرش ، وعن الغاء الوظائف توفر ١٠ حمولات و ٩٠ ألف قرش ، وكذلك أدى الغاء الوظائف الزائدة قبل خمسة شهور تقريبا الى توفير ١٢ حمولة قرش ، ونتج من قلب الوظائف وادماج بعضها في البعض توفير ١٥ حمولة و ٩٣ ألف قرش ، وختم مدحت باشا تقريرة هذا بقوله : « ... ولو أني غير مرتاح لكل هذا ، ولكني اجريته نزولا على رغبة معاليكم ..»[٦٣] .

وبعد ان انهى مدحت باشا ترتيباته في الاحساء غادرها بعد ان أقام فيها شهرين ، وأخذ معه عددا من المرضى والجرحى من حامية الاحساء ثم توجه الى بغداد بعد ان كان في نيته الذهاب الى البحرين ولكنه عدل عنها ، وأرسل لها عارف بك قومندان فرقة البصرة البحرية لبناء ما يلزم من مستودعات الفحم اللازم للسفن العثمانية ومعاينة منابع الماء وغير ذلك من الضروريات[٦٤] .

وهنا قد يرد تساؤل ما مدى أهمية حملة الاحساء ؟ وما أثر هذه الحملة على تأكيد السيادة العثمانية على امارات الخليج العربي ؟ وللاجابة على هذه التساؤلات لا بد ان نشير ونذكر بأمانة جهود مدحت باشا الكبيرة في هذا المجال ، وما قدمه من خدمات جليلة للدولة العثمانية ، ولكن الاحداث التي وقعت في الاحساء بعد عزل مدحت باشا عن ولاية بغداد تدل على ان الجهود التي قام بها تعتمد على طموحه الشخصي وتنبع من روحه الحية وهمته العالية الطموحة وسياسته الموفقة الهادفة التي ترمي الى بسط السيادة العثمانية على مناطق واسعة في الخليج العربي والتصدي للنفوذ البريطاني والاجنبي في الخليج .

اما اهمية حملة الاحساء وأثرها على تأكيد السيادة العثمانية على امارات الخليج العربي فهو اثر ضعيف ، وكان من الممكن ان تظهر فاعلية تلك الحملات لو استمرت الدولة العثمانية وولاة بغداد الذين خلفوا مدحت باشا ، بنفس الاسلوب والجهد الذي بذله مدحت باشا . فقد استبدت الحامية العثمانية في الاحساء وحكمت حكما استبداديا

يتسم بالظلم والجور ، حيث استغل الموظفون العثمانيون السلطة في ايديهم وكبدوا الاهالي دفع ضرائب باهظة . وقد كان مدحت باشا أيام ولايته يقف في وجه هؤلاء المستبدين ويحقق في الصغيرة والكبيرة ، لذلك استثنى القبائل من دفع الضرائب فيما عدا ضريبة العشور . اما الذين خلفوه فقد اهملوا متابعة هؤلاء المستبدين ، ونتيجة لهذا الظلم عمت المنطقة موجة من التذمر ، وأخذوا يفكرون في الثورة على حكم الاتراك العثمانيين ، وهكذا عجز الاتراك العثمانيون عن تأمين المنطقة من اللصوص وقطاع الطرق ، وكثرت الثورات القبلية وتدهورت الناحية التجارية ، وضعفت الحامية العثمانية في الاحساء وانتشرت الامراض والاوبئة بينهم ، كما تعرضت الحامية لهجمات متكررة من سعود بن فيصل واخوانه ، ورغم محاولات الدولة العثمانية اصلاح ادارتها في الاحساء الا انها لم توفق لأن العشائر قد فقدت الثقة بها ووسمتها بخلف الوعود ، ولكن الدولة العثمانية كانت مشغولة في حروبها مع روسيا في عام ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م(٦٥) وهذا يبرر موقفها هذا ونلتمس لها العذر .

وأيا ما كان الأمر ، فقد ضعفت اقتصاديات المنطقة نتيجة لكثرة الحروب ، وعلاوة على ذلك ، فقد قلت رغبة الاتراك في الاحتفاظ بهذه المنطقة فلم يستفيدوا منها فائدة ملموسة ، فقد كلفتهم مصروفات فادحة فأوعزوا الى ناصر باشا السعدون متصرف البصرة عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م ان يسحب القوات التركية العثمانية فسحبها وارسل بدلها قوات من الاكراد والقبائل العربية(٦٦) . فكان هذا ايذانا بتقلص نفوذ الاتراك العثمانيين في هذه المنطقة وزواله .

وفي تصوري ان هناك عدة عوامل ادت الى تلك الحالة المضطربة وأهمها :

١ ـ عدم قدرة العثمانيين من السيطرة على قبائل البادية، فعجزوا تماما وخاصة في آواخر عهدهم عن اشاعة الأمن في ربوع الاقليم، ولم تكن سيطرتهم تتعدى أسوار المدن التي يقيمون فيها، بل كانوا يتعرضون هم أنفسهم لغارات رجال القبائل(٦٧).

٢ ـ تعدد حكام الدولة في الاقليم « المتصرفون » وقصر المدة التي كان يقضيها كل واحد منهم في منصبه ، بحيث لا يتسنى له معرفة احوال الاقليم ، وكان من الصعب على اي منهم ان يتبنى سياسة اصلاحية اذ لم يكن

يسعفهم الوقت للاستمرار في تطبيقها ، فقد بلغ عدد هؤلاء المتصرفين في الفترة ما بين ١٨٧١ - ١٩١٣ حوالي عشرين متصرفا[٦٨] .

٣ - ان الطابع العثماني في الاحساء ظل طابعا عسكريا ، وكانت نفقات الحاميات تستأثر بالقسم الاكبر من ميزانية الاقليم التي كانت تعتمد في الدرجة الاولى على الضرائب التي كانت تجمع من الاهالي ، فقد بلغت عوائد الاقليم في عام ١٩٠١ حوالى ٦٠ الف ليرة ، كانت نفقات رجال الجيش العثمانى منها حوالي ٥٤ الفا ، وما بقي منها لا يكفي بالطبع للخدمات المدنية الاخرى ، مما اضطر الدولة لاتباع سياسة الضرائب التصاعدية لكي يتوازن الدخل والمنصرف ، ففي عام ١٩٠٥/١٩٠٦ ارتفعت مدخولات الجمارك ٣٧,٥٪ عن السنة السابقة ، وفي العام التالي اضطرت الدولة الى رفع تلك العائدات ١٢,٥٪ ايضا[٦٩] .

٤ - ادت حملة الاحساء الى قيام صراع بريطاني عثماني في منطقة الخليج مما ساعد على زيادة الاضطراب في المنطقة اذ ان بريطانيا كانت تشجع القبائل وتعطيها الهبات والعطايا للقيام بثورة ضد العثمانيين ، كما ان بريطانيا كانت تشجع سعود بن فيصل للثورة ضد العثمانيين .

٥ - محاولات آل سعود المستمرة لانهاء الوجود العثماني في الاحساء حتى نجح اخيرا الملك عبدالعزيز آل سعود في احتلال الاحساء عام ١٩١٣م .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن ما هو موقف الاهالي في الاحساء من الاستراتيجية العثمانية التي رسمتها الدولة العلية في منطقة الخليج ؟

ان الواقع الاجتماعي في الاحساء اثبت ان الاستراتيجية العثمانية في المنطقة لم تكن موفقة . وفي اعتقادنا ان هذا يعود لسببين رئيسيين هما :

١ - لأن الدولة العلية لم تف بالوعد الذي منت به اهالي المنطقة ، فكان هذا سببا في فقدان الدولة للقاعدة الشعبية والتأييد السكاني في المنطقة اللذين يعتبران من اهم عوامل تركيز الاستراتيجية ونجاحها .

٢ - اعتمدت الدولة العثمانية على القوة العسكرية بدلا من اعتمادها على تحقيق العدالة الاجتماعية ورفاه الشعوب ، الامر الذي نفر الناس من هذا الاسلوب وترك المجال مفتوحا امام حالات الاضطراب والفوضى .

ان الواقع الاجتماعي لأهل الاحساء كان يخالف تماما ما جاء في منشورات الدولة التي اذاعتها على الاهالي . فازدادت الضرائب وعم المنطقة حالات من التذمر والسخط أدى الى الانفجار الشعبي الذي تجمع عند مقر حكومة متصرفية نجد ، بحجة ان السعر الذي حددته الحكومة للتمر زائد ومضر ، فأغلقت الدكاكين مدة ما . وهذا يدل على عدم الانسجام بين الاهالي واسلوب الحكم العثماني كما ان اغلاق الدكاكين

يعتبر رفضا للاستراتيجية العثمانية(٧٠) .

كما ان طبيعة الحكم الاستبدادي تكون دائما من اهم العوامل التي تجلب نقمة الاهالي ، وهذا ما حدث بالفعل في منطقة الاحساء عندما عمت المنطقة موجة من السخط ضد العثمانيين(٧١) .

وهذه الامور حدثت بعد عزل مدحت من ولاية بغداد ، اذ ان فترة الحكم العثماني ابان وجود مدحت باشا في بغداد حوالي سنة ونصف السنة تقريبا ولكن الولاة الذين تسلموا أزمة الحكم في بغداد لم يستطيعوا القيام بما قام به مدحت باشا ، فساد الاضطراب والفوضى وكثرت الفتن والثورات حتى اضطرت الحامية العثمانية للخروج وقيام قوات عربية بديلة من العراق تحت اشراف ناصر السعدون بحماية المنطقة .

وأيا ما كان الامر فقد اتخذ الاتحاديون فيما بعد من حملة مدحت باشا على الاحساء محور ادعائهم لتأكيد السيادة العثمانية على بعض مناطق الخليج في وجه السياسة البريطانية في هذه المنطقة وكان اثر هذه الحملة واضحا في الكويت حول تأكيد علاقة شيوخ تلك الامارة بالدولة . كما ادت الى سيادة السلطان الى حد ما على السعوديين في داخل الجزيرة العربية . كذلك ظهر اثر الحملة واضحا في كل من قطر والبحرين ، اما بالنسبة للجنوب فقد ادت حملة الاحساء الى نتائج عكسية فقد اسرع الانجليز الى تشديد قبضتهم على امارات الخليج وعقدوا معها معاهدات لخوفهم من اتساع النفوذ العثماني جنوبا مع أن الدولة العثمانية بعد نهاية ولاية مدحت باشا على العراق قد اهملت التوسع في مشيخات الساحل العماني(٧٢) .

تلقى نافذ باشا قائد الحملة العثمانية على الاحساء وهو بالهفوف دعوة من قاسم بن ثاني حاكم قطر ، حيث اراد الأخير التخلص من قيود تعهدات ابيه محمد بن ثاني مع الحكومة البريطانية ، هذا بالاضافة إلى التخلص من دفع الرسوم المفروضة على قبائل قطر لشيوخ البحرين ، فأعلن خضوعه للدولة العثمانية ، ورحب مدحت باشا بهذه الدعوة ، ذلك انه كان يخشى من محمد بن ثاني الذي كان يعتنق الدعوة السلفية من ان يعمل على شد أزر السعوديين بالاضافة الى خضوعه للانجليز(٧٣) لذلك خرجت قوة عثمانية احتلت قطر ، وكانت هذه القوة تتألف من عشائر بدوية كويتية بقيادة عبدالله الصباح ، وقد اتخذ من مدينة الدوحة مركزا لها(٧٤) .

وعلل مدحت باشا غزوه لقطر بأن سعود الفيصل وغيره من المنشقين تأتيهم الاسلحة والمؤن والأرزاق عن طريق البحرين ، ثم انهم اخذوا يضغطون على مشايخ قطر وسكانه فاستنجد قاسم ووالده محمد بمدحت

باشا ، وطلبوا ارسال قوة تؤيدهما ، فأرسل لهم الأخير قوة على سفينة حربية هي يونية بقيادة القائمقام عمر الذي أعاد الهدوء ثم رجع إلى الاحساء بعد حوالي ٣٥ يوما(٧٥).

وفي عام ١٢٨٨هـ/يوليو ١٨٧١م عين مدحت باشا قاسم بن ثاني قائمقاما على قطر ، كما اقام فيها محطة للفحم ومرسى للسفن وثبت حامية عثمانية في البدعه ، ولم يسكت الانجليز على هذا التصرف فقد بعث الكولونيل البريطاني في بغداد الى مدحت باشا يذكره بأن هذا العمل مخالف للتأكيدات التي سبق ان ادلت بها الحكومة العثمانية . فأجاب مدحت على ذلك بأن التعهدات المشار اليها خاصة بالبحرين رغم انها - اي البحرين - من توابع نجد وقد ادت هذه الحملة على قطر الى احراج بالغ لمركز محمد بن ثاني الموالي للانجليز ، فقد ذكر الميجر سيدني سميث مساعد المقيم البريطاني في الخليج حينما زار قطر ان قاسم بن ثاني يرفع الراية العثمانية ، بينما لا يزال محمد بن ثاني يرفع راية الصلح البحري(٧٦) .

وذكر سميث في مقابلته لقاسم بن ثاني ان الأخير زعم ان بعثة عثمانية برئاسة شيخ الكويت عبدالله بن صباح وصلت الى البدعة وقدمت له رسالة من الحكومة العثمانية تلتمس تعيينه قائمقام واقامة حامية عسكرية في بلاده ، وكان هذا الالتماس مصحوبا بتهديد عسكري اذا لم يقبل العرض ، وحفظا للسلام ، فقد قبل العروض العثمانية لأنه لم يجد حامية بريطانية كافية ، وواظب قاسم بن ثاني على رفع الراية العثمانية ودفع الضريبة لمتصرف الاحساء . هذا وقد بلغ الدخل السنوي من الزكاة التي تدفعها قبائل قطر للدولة العثمانية عشرة آلاف قران ، وحاولت الحكومة البريطانية ايقاف التدخل العثماني فأرسلت احدى المدرعات الى مياه قطر ، وطالب قائدها باسم شيخ البحرين بالمبالغ السنوية التي يدفعها لشيخ البحرين ، غير ان القطريين رفضوا المطالب البريطانية واعلنوا انهم رعية عثمانية ، فردت الدولة العثمانية على هذا الاجراء البريطاني بارسال سفينتين حربيتين الى قطر بحجة حمايتها من عدوان البحرين عليها(٧٧) .وفي نفس الوقت رفع الباب العالي احتجاجا الى الحكومة البريطانية بشأن العدوان البريطاني على ارض عثمانية فرد وزير خارجية بريطانيا اللورد جرانفيل على هذا الاحتجاج بأن

حكومته لا ترغب في التدخل في شؤون الخليج الا فيما يختص بحفظ الأمن والسلام طبقا لنصوص المعاهدات الخاصة بذلك ، وعلى الرغم من ترحيب قاسم بن ثاني بالعثمانيين واعتماده عليهم في تثبيت سلطته في قطر الا انه ثبت انه في بعض الاحيان حاول التقرب من الانجليز ، ولكنهم لم يتسجيبوا له ، بل على العكس كانوا يعمدون الى الضغط المتكرر عليه حتى يتخذوا من ذلك سببا من اسباب العداء بينهم وبين قاسم (٧٨).

وبمجيء العثمانيين الى قطر برزت مشكلة جديدة وهي مشكلة خورالعديد وكانت تسكن هذه المنطقة قبيلة القبيسات ، وهذه القبيلة هاجرت من ابوظبي بزعامة خادم بن نهيان فرارا من حكم البوفلاح . وكان الشيخ خادم يطمح في تكوين امارة مستقلة اسوة بجيرانه ، وقد كاتب المقيم البريطاني سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م بشأن هذا الموضوع وطلب الحماية البريطانية على منطقته ، حيث رأى انها السبيل لتكوين امارته ، غير ان بريطانيا لم تتخذ موقفا واضحا ازاء هذه المنطقة ، الا انها اعتبرته تابعا لقطر عند عقد الاتفاق مع آل ثاني ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م (٧٩) خاصة وان شيخ قطر جاسم بن ثاني ارسل اعلام الدولة العثمانية الى شيخ القبيسات ليرفعها على العديد .

غير ان المصالح الخاصة املت على الانجليز اعتبار خور العديد جزءا من أبوظبي وذلك بعد مجيء العثمانيين الى هذه المنطقة ، واتصالهم بشيخ القبيسات لأن بريطانيا كانت تخشى من هذه المشيخة الصغيرة كي لا تنضم الى الدولة العثمانية كما فعل آل ثاني . وقد ادرك الشيخ زايد بن خليفة حاكم ابوظبي هذه المخاوف الانجليزية واستغلها ، فادعى بأن الترك العثمانيين راسلوه مطالبين بخور العديد وانهم ارسلوا علما عثمانيا الى بطي بن خادم شيخ القبيسات الجديد . وهكذا دفع بالانجليز الى استخدام القوة لاجبار شيخ القبيسات على رفع علم الهدنة البحرية ، ولكنهم لم يعلنوا رسميا ان الخور جزء من امارة ابوظبي الا في سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م (٨٠) .

أما موقف بريطانيا من الوجود العثماني في الخليج فيتسم بالرفض والمعارضة المطلقة وذلك خشية احكام الدولة العثمانية سيطرتها على الجزيرة العربية كاملا ، وخشية محاولة الفرس تقليد العثمانيين فيحذون حذوهم بتكوين اسطول لهم

في مياه الخليج . ولهذا اعتبرت السلطات البريطانية في الخليج وضع قطر تحت سيطرة العثمانيين المباشرة تحديا لنفوذها واحراجا بالغا لموقفها في المنطقة . لذا احتجت بريطانيا على ازدياد قوة الاسطول العثماني في الخليج العربي وكذلك على توسع العثمـانيـين في قطـر . وكـان البريطانيون ينطلقون في احتجاجهم هذا من تصوراتهم لمطامع مدحت باشا الذي كان ينظر الى حدود نجد نظرة اشمل من نظرة البريطانيين ، فكانت نجد في نظرة تمتد لتشمل كلا من قطر والبحرين وبلدان الساحل المهادن وحتى مسقط ذاتها[٨١] ، فردت الدولة العثمانية على الاحتجاج الانجليزي بتأكيد حقها في زيادة اسطولها في الخليج .

سياسة مدحت باشا ازاء البحرين :

في القرن التاسع عشر الميلادى ، اشتد التنافس العثمـانى الفارسى البريطانى على البحرين . وكان هذا التنافس حتى العقد الرابع من القرن التاسع عشر مقصورا على المطالبات والاحتجاجات ، ودخلت هذه المطالبات حيـز التنفيذ منـذ عام ١٨٤٤ - ١٨٤٥م.

كما بعـــث والي بغـــداد محمـــد نجيـب بـاشـا فى صيف عـام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م برسالة الى محمد آل خليفة شيخ البحرين يستميله فيها الى جانب الدولة العثمانية ، ثم أرسل بعدها سفينة عثمانية تجوب الخليج وتوزع الأعلام العثمانية ليرفعها من يشاء اعلانا للتبعية العثمانية وكان شيوخ البحرين يناورون فى الواقع بكل من فارس والدولة العثمانية ، فانتهز محمد بن خليفة فرصة هذا الضغط العثمـانى ليستفيد من التنـافس الانجلوعثمانى [٨٢] . فتفاوض مع السلطـات البريطـانية كى تخفف حكومة بومبى من الضرائب المفروضة على سفن البحرين فى موانىء الهند ، وهدد بريطانيا بإعلان الولاء للدولة العثمانية إن هى تلكأت فى تلبية طلبه ، غير أن حكومة بريطانيا وممثليها فى الخليج وقفت موقفا حاسما ضد أى تدخل في البحرين.

وانطلقت بريطانيا فى موقفها هذا من أن معاهدة ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م جعلت من البحرين امارة مستقلة مرتبطة ببريطانيا بتعهدات معينة ، واشتدت المطالبة الفارسية العثمانية بالبحرين بعد توقيع معاهدة أرضروم فى عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م حيـث أدرك المسئولون العثمانيون ان إهمـال البصرة هو السبب فى ضعف النشاط

العثمانى نحو المشيخات العربية فى الخليج ، فوضعوا مشروع انشاء ترسانة بحرية فى البصرة ، كما رفعت البصرة الى مرتبة الولاية سنة ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م لتكون قاعدة للبواخر العثمانية المزمع إرسالها الى الخليج (٨٣) .

وكانت القوة الوحيدة القادرة على توجيه حمله مباشرة ضد البحرين هى نجد ، ولكن الامام فيصل بن تركى كان يخشى التورط مع الانجليز ، فلجأ الى التفاهم معهم ولكن دون جدوى ، فاتبع الطريق التقليدى وهو تشجيع المطالبين بالمشيخة دون أن يوجه هو حملة اليها ، وكانت حجة الامام فيصل فى مطالبته بالبحرين أن الأخيرة تدفع الزكاة له سنويا ، وأن هذا من علامات الخضوع للحكم السعودى ، وقد أدرك الانجليز أن فيصل لو نجح فى السيطرة على البحرين فهذا معناه دخول البحرين تحت سيادة الدولة العثمانية ، لأن فيصل كان يتسلم خلعة من والى الحجاز من قبل السلطان ، ومنح فيصل كذلك لقب قائمقام نجد ، واشتد الضغط على البحرين

فتدخلت السلطات البريطانية مهددة باستخدام الأسطول لمنع أي هجوم عليها. أما فيصل فقد تابع سياسته السابقة الذكر. فردت قطع الأسطول البريطاني على هذه المحاولة من الدمام لغزو البحرين بضرب تجمعات الحملة. فأعلنت الدولة العثمانية الاحتجاج على ضرب أراضيها. (٨٤).

وفى سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م اقترح فلكس جونز Felix Jonez القنصل البريطانى فى الخليج إرسال بعض قطع الأسطول الى البحرين لارغام شيخها على توقيع معاهدة تقيده وتربطه ببريطانيا ، وأعدت مسودة المعاهدة فى ١٢٧٧هـ/مايو ١٨٦٠ ووقعها شيخ البحرين فى سنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م (٨٥) .

لم يستطع نامق باشا أن يثبت دعائم السيادة العثمانية على الساحل إلا بالأسلوب التقليدى الذى كان يتبعه الولاة من قبل ، وهو إسناد الحكم الى الغالبين فى إطار التبعية للدولة العثمانية ، ولعل السبب فى فشل نامق باشا هو أن البصرة لم تكن قادرة على أن تقوم بمهمتها الحقيقية فتركزت الأمور فى يد والى بغداد الذى كانت تحجبة عن الخليج عشائر مشيخات قوية مثل المنتفق والظفير (٨٦) .

وفى عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م انتهز الانجليز فرصة قيام نزاع بين آل ثانى

حكام قطر وآل خليفة حكام البحرين وأرغموا شيخ قطر على توقيع معاهدة أدخلتهم فى زمرة المشيخات المتعاهدة مع بريطانيا (٨٧) .

كما وصلت في نفس السنة أربع قطع بحرية انجليزية إلى البحرين وعزلت محمد بن خليفة ومحمد بن عبدالله وأرسلتهما إلى بومبي وتولى مشيخة البحرين الشيخ عيسى بن علي، ثم توجهت السفن بعد ذلك الى القطيف من توابع نجد ، فبعث والى بغداد مدحت باشا فى ١٢٨٥هـ/ ١٦ ديسمبر ١٨٧٠م ببرقية الى عالى باشا وزير الخارجية يطلعه على الأمر ، فبعث الأخير ببرقية الى موزوروس Musurus سفير الدولة العثمانية فى انجلترا يخبره فيها أن جزيرة البحرين جزء من ممتلكات الدولة العثمانية ، وأن السفن الانجليزية تصرفت تصرفا خاطئا ، ونشأ ذلك التصرف عن قصور فى الفهم والادراك ، وطالبه باستيفاء تفاصيل هذا الخبر ، وموافاته به ، ورد المستر كلارندون Clarndon وزير الخارجية البريطانية على هذا الاستفسار بأنه لا يعلم عن الحادث شيئا ، ووعده بأنه سوف يستعلم عنه وأضاف وزير الخارجية الانجليزية في رده بأنه يسمع ولأول مرة تابعية جزر البحرين للدولة العثمانية.

فرد موزوروس باشا على المستر كلارندون ببرقية فى ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م برقم ٩/ ٣٩٥٤ ذكر فيها أنه ليس لأي دولة أى حق تدعيه على أى جزء من الجزيرة العربية (٨٨) .

وعندما راجع موزوروس باشا في اليوم السادس والعشرين من يناير ١٨٧٠م اللورد كلارندون طالبا الرد على استفساره السابق، رد عليه بأن قال أن هذه الجزر تعتبر مستقلة (٨٩).

ولكن سفير الدولة العثمانية موزوروس باشا رد عليه مبينا وجهة نظره قائلا أن معرفة الانجليز تبعية هذه الجزيرة حينا لكذا وحينا آخر لكذا لا يمس حقوق الباب العالى.

ولكن سفير الدولة العثمانية موزوروس باشا رد عليه مبينا وجهة نظره قائلا ان معرفة الانجليز تبعية هذه الجزيرة حينا لكذا وحينا آخر لكذا لا يمس حقوق الباب العالي، وأن هذه الجزر بحكم موقعها الجغرافي تتبع الجزيرة العربية، ومعني ذلك أنها تتبع الباب العالي، وأنه يجب ألا يغيب عن البال أن الباب العالى فتح أهم ومعظم هذه الجهات فتحا عسكريا وأنه يديرها إدارة مباشرة ... ولكن جزيرة البحرين بسبب بعدها عن المركز وقعت تحت نفوذ الأئمة

والشيوخ كغيرها من الأراضي المنسلخة من الادارة العثمانية المباشرة ، ورغم كل ذلك ، فإن جميع هذه الامارات تعتبر بأنها تحت حكم السلطنة العثمانية ، كما يعترف حكامها بالسلطان أكبر رئيسا لهم [٩٠] .

وذكر التقرير أن بريطانيا قد أدعت بأنها لا تنوى فرض سيطرتها على البحرين علما بأن واقع الحال ينفى هذه الادعاءات ويؤكد إصرار بريطانيا على السيطرة على البحرين ، فقد قامت بإقامة مبان كبيرة فى البحرين ، كما عينت حراسا على مقر الحكومة [٩١]. هذا علاوة على الاعتداءات التى قامت بها ضد ساحل الاحساء .

واختتم التقرير دراسة مشكلة البحرين مؤكدا تبعية البحرين للدولة العثمانية وأيلولة ملكيتها لها ، وذلك بناء على الأسس التالية :

١ ـ تتبع البحرين منذ القديم قائمقام نجد الذى تعينه السلطنة السنية العثمانية .
٢ ـ تجبىء الضرائب من قبل قائمقام نجد من البحرين حتى وصول الجنود النظاميين الى هذه المناطق .
٣ ـ سكان البحرين يدينون بالاسلام ، وتقرأ خطب الجمعة باسم جلالة السلطان ، وهذا دليل على تبعيتها للسلطنة العثمانية .
٤ ـ وجود الطغراء العثماني، ومدافع فى أبراج وأسوار القلعة ، كآثار قديمة ووجود التواريخ القديمة على أبواب الجوامع والمساجد تثبت هذا الحق .
٥ ـ الموقع الجغرافى للجزيرة يثبت جهة التزامها حيث أنها جزء من الجزيرة العربية التى تؤول للدولة العثمانية [٩٢] .

هذه المبررات التى سقناها آنفا تؤكد تبعية البحرين للدولة العثمانية .

وانطلاقا من سياسة المهادنة ، حرصت الدولة العثمانية على عدم الدخول فى صدام مع انجلترا ، واكتفت بالمطالبة وتقديم الحجج والبراهين على تبعية البحرين لها . كما شددت على والى بغداد الطموح مدحت باشا ألا يقدم على أى عمل يخل بالاتفاقية العثمانية الانجليزية المعقودة عام ١٨٦١م [٩٣] .

وفى رسالة بعث بها وزير الخارجية العثمانية الى مدحت باشا رقم ٩٠ بتاريخ ٤ تموز (يوليو) ١٨٧٠م يقول فيها : «ان مهمة الفرقة العسكرية المرسلة الى سواحل نجد منحصرة على منطقة نجد دون سواها» . ورجا وزير الخارجية فى رسالته الى مدحت باشا أن تكف جريدة الزوراء عن التعرض

لبعض الأمور المثيرة للقلاقل والفتن مثل حديثها عن البحرين وقسم صغير من مناطق يسكنها رؤساء القبائل العربية التى عقدت مع الانجليز إتفاقية دائمة أنها تابعة لنجد ، وأن هذا العمل أثار انتباه إدارة الهند ، فالرجاء عدم التعرض فى الزوراء لمثل هذه الأمور (٩٤) .

ورد مدحت باشا بخطاب رفعه الى الصدر الأعظم ذكر له فيه أن البحرين تتبع نجدا من القديم ، وأن الاحساء والقطيف تبعتا الدولة العلية ، ودحض الادعاءات الانجليزية والفارسية فى البحرين وبقية مشيخات الخليج العربى ، وأكد مدحت فى رسالته أن «مهمة الفرقة العسكرية فى نجد هى اقرار الأمن والصلح فى الاحساء والقطيف وقطر وملحقاتها لا الخروج خارج نطاق نجد. وقد نبه قائد الفرقة نافذ باشا على ذلك ، أما ما كتبته جريدة الزوراء فلا يمكن أن يحدث مشكلة ، لا سيما وأنكم كتبتم الى مسيو بيزانتى وأرسلتم لى صورة مكاتبتكم التى جاء فى فقرة منها أن حدود نجد غير محدودة ولو حدث تدخل لأمور المشايخ والرؤساء العربان الذين يريدون الانسلاخ فهذا سوف يتيح محظورا .. (٩٥) .

وذكر مدحت فى رسالته أنه لم يحدث منه أى تدخل فى البحرين أو امارات الخليج الأخرى ، رغم طلب بعض رؤساء العشائر والعربان وسكان عمان المساندة من الدولة العثمانية ، ويقول مدحت أننا لم نرفض عرضهم بل التزمنا السكوت رغم ما قام به بعض الموظفين الانجليز من إهانة بعض العساكر السلطانية ، وما قام به ملاحو سفينة تابعة لشركة لنج الانجليزية من مهاجمة سفينة بغداد وهي راسية في الميناء وذكر مدحت أيضا أن موظفي الانجليز يعتبرون جزيرة البحرين حكومة مستقلة ونيتهم متجهة لأن يقيموا حكومة مستقلة فى عمان ومسقط ، فضلا عن أنهم شرعوا يأخذون من عدة سنوات تسعة آلاف ريال من قطر للشيخ عيسى(٩٦).

وتشير المصادر العربية أنه بعد نجاح حملة مدحت باشا فى الاحساء وبعد بسط النفوذ العثمانى على قطر ، فكر مدحت باشا فى أن يواصل مد النفوذ الى الجزر المقابلة لساحل قطر وهى جزيرة البحرين . فأرسل وفدا برئاسة عارف بك قائد بحرية البصرة لمقابلة شيخ البحرين متظاهرا بهدف اقامة بعض مستودعات الفحم اللازمة لامداد السفن العثمانية ، بينما كانت المهمة الحقيقية هى الحصول على ولاء شيخ البحرين للسلطان العثمانى ،

وقد رحب شيخ البحرين بهذه الزيارة وأبدى الفرح والسرور عند رؤيته للسفينتين العثمانيتين «لبنان ، والاسكندرية» قائلا : أن البحرين لم تر منذ قرنين سفنا عثمانية فى هذا البحر ، وتبرع ببعض الأراضى لاقامة مستودعات الفحم اللازمة للسفن العثمانية ، وبعد هذا أخذت السفن العثمانية تكثر من ترددها على البحرين بدعوى التزود بالماء والفحم ، وقد انزعجت الحكومة البريطانية من زيارة عارف بك ووفده الى البحرين (٩٧) .

وعلى العموم ، فقد أدرك مدحت باشا خطورة موقفه هذا ، فكتب كتابا الى حاكم عام الهند بشأن حقوق الدولة العثمانية فى السيادة على البحرين ، وأيد موقفه بأدلة قانونية ساقها فى ثنايا رسالته ، ولكن بريطانيا وقفت موقفا حاسما من هذه القضية وحصلت على تعهد من شيخ البحرين يقضى بالمحافظة على جميع الالتزامات والتعهدات الناجمة عن المعاهدات السابقة وآخرها معاهدة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م . ووعده الانجليز بحمايته من أى خطر يهدده سواء كان عثمانيا أو فارسيا (٩٨) .

وترجع الوثائق البريطانية رغبة الأتراك العثمانيين فى إحتلال البحرين الى عوامل سياسية وإقتصادية . فمن الناحية السياسية فإن البحرين كانت ملجأ للفارين من اللاجئين السياسيين حيث يجدون فيها الحرية الكاملة فى مزاولة أعمالهم ، إضافة الى الكرم والعادات العربية الحميدة التى أسبغها عليهم شيخ البحرين . وتذكر تلك الوثائق قصة تهديد الأتراك بغزو البحرين بسبب قصة زيارة الأمير عبدالرحمن بن فيصل عقب فراره من أسره فى بغداد ، وقد أقام بعد فراره قرابة شهرين بالبحرين . أما الأسباب الاقتصادية فهى أن البحرين تعتبر الميناء الرئيسى للاحساء ، بالاضافة الى أنها جزر مشهورة بزراعة النخيل والخضراوات والفواكه وحركة تجارة اللؤلؤ وصيده لمنطقة الخليج العربى كله ، حتى أنه بلغ دخلها فى تلك الفترة أكثر من خمسة ملايين جنيه استرلينى فى العام الواحد ، فأرادت الدولة العثمانية باستيلائها على هذه الجزر إنهاء مشاكلها الاقتصادية فى المنطقة (٩٩) .

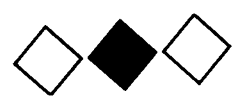
وخلاصة القول أن الحملة العثمانية التى أرسلها مدحت باشا الى الاحساء قد أكدت الوجود العثمانى والسيادة العثمانية فى الخليج ، كما امتدت السيادة العثمانية على بقية أجزاء الخليج من الكويت حتى عمان ، وقد اعترفت انجلترا بتبعية مشيخات الخليج الى الدولة العثمانية

تبعية اسمية . وقد استمرت السيادة العثمانية على الجزيرة العربية ولو اسميا فى بعض المناطق وفعليا فى المناطق الأخرى حتى سقوط الدولة العثمانية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى . ويؤكد ذلك مراسلات الحسين ـ مكماهون التى تناولت البلاد العربية تحت الحكم العثمانى فى قارة آسيا بما فيها شبه الجزيرة العربية ما عدا عدن .

كما أن مشايخ وأمراء الجزيرة العربية كانوا يلتفون حول الدولة العثمانية بتأثير العاطفة الاسلامية والولاء الدينى على اعتبار أن الدولة العثمانية تمثل المسلمين فى العالم بصفتها وارثة الخلافة الاسلامية .

وهناك حقيقة أخرى أن الوجود البريطانى والاستعمار البريطانى لم تتأكد سيطرته على منطقة الخليج إلا بعد الحرب العالمية الأولى وانهيار الدولة العثمانية ، فكان مشايخ وحكام الخليج برغم تعاهدهم وتعاقدهم مع بريطانيا بمعاهدات إلا أنهم كثيرا ما عبروا عن ولائهم للدولة العثمانية وكانوا يتعاطفون معها ، وليس هؤلاء فحسب بل كان المسلمون جميعا فى أصقاع الأرض يؤيدون الدولة العثمانية للأسباب التى ذكرتها فى النتيجة السابقة . ومن هنا كانت بريطانيا تراعى مشاعر المشايخ وحكام الخليج فى إظهار ولائهم للدولة العثمانية ، وتكتفى فقط بالاحتجاج على التصرفات العثمانية . وبرغم ذلك فإن بريطانيا كانت تدرك تماما أحقية الدولة العثمانية بالسيطرة على الجزيرة العربية .

الدكتور اسماعيل ياغي
استاذ مساعد بالمملكة العربية السعودية





١ ـ تقع منطقة الاحساء في الجزء الممتد غربي الخليج وتمتد من البصرة في الشمال الى عمان في الجنوب ، وكان يطلق على هذه المنطقة اسم « البحرين » لفترة طويلة من الزمن في بداية الفتح الاسلامي . واطلق على اجزاء مختلفة من هذا الاقليم اسماء مختلفة منها « العدان » و« هجر » و« الخط » وأخيرا وحوالي عام ٣٢٧هـ/ ٩٢٩م أطلق اسم « الحسا » على قاعدة هذا الاقليم وأكبر مدينة فيه ، ثم عمت التسمية فشملت الاقليم بأسره . قال ياقوت الحموي : « .. الاحساء مدينة بالبحرين معروفة مشهورة ، كان أول من بناها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر الحسن بن أبي سعيد الجنابي القرمطي » . انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مجلد ١ ، القاهرة ـ مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٦ ، ص ٧٢ ، ص ١٣٧ .

وقد احتل البرتغاليون منطقة الاحساء والتي كان يطلق عليها اسم البحرين في عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م ، وظلوا يحتلونها حتى تمكن الاتراك العثمانيون من طردهم واخراجهم منها حوالي عام ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م . انظر د. محمد عرابي نخله ، تاريخ الاحساء السياسي ، الكويت ، منشورات ذات السلاسل ١٩٨٠م ، ص ٢٦ .

٢ ـ لقد وجد نص منقوش على احد حجارة هذا المسجد يدل على من قام باعماره وتاريخ ذلك جاء فيه : « .. بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ، قد بنى وعمر هذا المقام في زمن السلطان العادل سليمان بن السلطان سليم ، حضرة الحاكم الاجل قدوة الحكام كهف الانام ، صاحب السيف والقلم ، والي بلد الاحساء محمد باشا ، في سنة ثلاث وستين وتسعمائة هجرية » . انظر محمد بن عبدالله الانصاري تاريخ الاحساء المسمى « تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد » جـ ١ الرياض ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

٣ ـ أحمد ابو حاكمة (الدكتور) تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، بيروت ١٩٦٥ ص ٦٠ ـ ٦١

٤ ـ احمد حيدر مدحت ، مذكرات مدحت باشا ، تعريب يوسف كمال بك حتاني ط

١ . القاهرة عام ١٣٢٥هـ/١٩٠٧ مطبعة هندية بالموسكي ص ١٧٥ .

٥ ـ محمد عرابي نخله (الدكتور) تاريخ الاحساء السياسي ١٨١٨ ـ ١٩١٣ الكويت ١٩٨٠ ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .

٦ ـ عبدالعزيز نوار (الدكتور) تاريخ العراق الحديث القاهرة ١٩٦٨ ص ٣٩٥ .

٧ ـ جمال زكريا قاسم (الدكتور) الخليج العربي (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) القاهرة ١٩٦٦ ص ١٧١ .

٨ ـ الياس الايوبي تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا مطبعة دار الكتاب بالقاهرة سنة ١٩٢٣ ص ٢٣٦ .

٩ ـ محمد عرابي نخلة ، المرجع السابق ص ١٤٩ .

١٠ـ ولد مدحت باشا عام ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م . وتنقل في عدة مناصب في الدولة العثمانية فشغل منصب الوالي في عدد من مناطق الحدود مثل « نيش » والشام ، وبغداد وعلى الرغم من قلة ايام حكمه في العراق ، الا انه تمكن من اقرار النظام ، واجرى بعض الاصلاحات التي لا يزال يذكرها العراقيون له بالخير ، حاول تأكيد سيطرة العثمانيين على الخليج العربي بارساله حملة الاحساء لكنه اصطدم بموقف بريطانيا ، وضعف مركزه في العراق بعد موت صديقه الصدر الاعظم عالي باشا ، فعزل سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م ووصل الى منصب الصدر الاعظم عام ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م مدة شهرين تقريبا ، اخيرا اتهم بالتآمر في مقتل السلطان عبدالعزيز فنفى الى الطائف ، ومات هناك في حادث عنف سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م ومن المآخذ عليه انه كان عثمانيا صميما ولم يشرك العرب والاكراد في العراق اشراكا فعليا في ادارة البلاد . انظر عباس العزاوي تاريخ العراق بين احتلالين ، ٨ اجزاء جـ٧ بغداد ١٩٤٩ ص ٢٦٩ ـ ٢٧١ .

١١ـ Dickson,H.R.B,Kuwait and her Neighbours,London 1956,PP.118.

١٢ـ محمد عرابي نخله ، المرجع السابق ص ١٥٢ ـ ١٥٣ .

١٣ـ I.O.R. R11/0/16.,From Ahmad Taiwfik pasha to Kembell 25th Jamad Alawal 1239 H.

١٤ـ I.O.R.15/1/0/16/ From Kembell to the Secretary to Government of India,dated 4th Dec.186,

١٥ـ جمال زكريا قاسم (الدكتور) الخليج العربي ، مطبعة جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٦٦ ص ١٧٤ .

١٦ـ منشور مدحت باشا الذي اذاعه على اهالي الاحساء بعد دخول القوات العثمانية لها في ١٨ رجب سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م . انظر عبدالعزيز نوار تاريخ العراق الحديث ، ص ٤٤٠ ـ ٤٤١ .

١٧ـ عبدالفتاح ابو عليه (الدكتور) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ، الرياض ١٩٨٦ ص ١١٣ .

١٨ـ Kelly,J.B.,Britain and the persian gulf,London 1965,P.718

١٩ـ مذكرات مدحت باشا ص ١٧٥ .

٢٠ـ اطلقت الدولة العثمانية على الاحساء بعد فتحه لقبا اداريا جديدا هو « سنجق نجد » وهي بهذا اللقب لم تشر البتة الى اسم الاحساء . لذا يمكن القول ان هذا اللقب الجديد كان ترقبا من الدولة لفتح نجد . انظر الوثائق التركية المحفوظة في اوراق الباب العالي ، باستنبول وثيقة رقم ٢٦٨٤ مؤرخة في ٢٣ شعبان ١٣٢٤هـ . وكذلك وثيقة رقم ٢٥٩٨ مؤرخة في ١٢ شوال ١٣٢٤هـ .

٢١ـ I.O.R./L/P-S/18 Vols.91-160 Paragraph 10 Nejd Expedition Precies,P.288

٢٢ـ جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ص ١٨١

٢٣ـ نشأت امارات الكويت والبحرين وقطر ومشيخات في الساحل في منتصف القرن الثامن عشر اذ لم تكن موجودة قبل ذلك ، بل كان اسم الاحساء يطلق على الساحل الغربي للخليج من البصرة شمالا الى عمان جنوبا كما اشرنا في بداية البحث .

٢٤ـ لوريمر دليل الخليج جـ٣ ص ١٥١٩ ـ ١٥٢٠ وعباس العزاوي تاريخ العراق بين احتلالين جـ ٧ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

٢٥ـ مذكرات مدحت باشا ص ١٧١ .

٢٦ ـ جمال زكريا قاسم، المصدر السابق ص ٢٥٦ سيف مرزوق الشملان من تاريخ الكويت القاهرة مطبعة نهضة مصر ١٩٥٩ ص١٣٦ ـ ١٣٧.
لجأ مدحت الى أن يرفع اصحاب السفن الكويتية الاعلام العثمانية بدلا من الانجليزية خشية محاولة بريطانيا فرض حمايتها على الكويت، كما أعفى أهل الكويت من الضريبة وصرف لهم الرواتب من خزانة البصرة.

٢٧ـ انظر نصوص المعاهدة الانجليزية الكويتية في ١٨٩٩م في :
فتوح عبدالمحسن الخرش (دكتور) تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية ١٨٩٠ ـ ١٩٢١ الكويت ص ٣٥ ـ ٣٦ .

٢٨ـ عبدالعزيز نوار ، المرجع السابق ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦ .

٢٩ـ مذكرات مدحت باشا ص ١٨١

٣٠ـ عبدالعزيز نوار ، المرجع السابق ص ٤٣١ ـ ٤٣٢ .

٣١ـ مصطفى عبدالقادر النجار (الدكتور) التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي بغداد ١٩٧٥ ص ٣١٢ ـ ٣١٣ .

٣٢ـ السيد رجب حراز (الدكتور) الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ، القاهرة ١٩٧٠ ص ١٦٥

٣٣ـ عبدالعزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث ص ٣٥٨ .

٣٤ـ جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ص ١٩١

٣٥ـ كان الامام فيصل يتبع الدولة العثمانية بالاسم ، وقد عبر الامام فيصل عن تلك التبعية ببعض الأموال التي كان يدفعها إلى نواب الدولة العثمانية في الجزيرة العربية وبناء عليه فان نجد والاحساء تتبع الدولة العثمانية تبعية اسمية .

انظر عبدالفتاح أبو عليه (الدكتور) تاريخ الدولة السعودية الثانية ط ٤ الرياض ١٩٨٦ ص ١٦٦ .

٣٦ـ مذكرات باشا ص ١٧٣

٣٧ـ صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة ١٩٦٥ ص ١٧٣

٣٨ـ محمد بهجت سنان ، البحرين ، درة الخليج ، القاهرة ١٩٦٣ ص ١٠١

٣٩ـ مذكرات مدحت باشا ص ١٧٤ .

٤٠ـ المصدر نفسه ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

٤١ـ Fo/78/2176 From Medhat to.Herbert,dated Ist June 1871

٤٢ـ جمال زكريا قاسم المرجع السابق ص ١٨٦ ـ ١٩٠ .

٤٣ـ مركز دراسات الخليج العربي بالبصرة وثيقة رقم ٥ ملف ٧ بتاريخ ٢٩ جمادى الاولى سنة ١٢٨٨هـ .

٤٤ـ جمال زكريا قاسم، المرجع السابق ، ص١٨٠ـ ١٨١ .

اصدر مدحت باشا في نفس اليوم الذي تحركت فيه الحملة العثمانية من البصرة في ٢٩ محرم سنة ١٢٨٨هـ/ ٢٠ ابريل ١٨٧١م اعلانا مطولا الى سكان نجد الحسا يحذرهم من تقديم المساعدة لسعود بن فيصل وفي نفس الوقت يعطي الفرصة لسعود في ان يسلم نفسه للسلطات العثمانية في البصرة ، كما يقرر هذا الاعلان ان نجد قد اصبحت للامير عبدالله الفيصل الذي عين قائمقاما عليها من قبل الدولة العثمانية . انظر نص الاعلان في جمال زكريا المرجع السابق ص ٤٨٣ ـ ٤٨٦ .

٤٥ـ جريدة الزوراء ، عدد ١٣٦ ، ٢٨ محرم سنة ١٢٨٨هـ .

٤٦ـ عبدالفتاح ابو عليه (الدكتور) الدولة السعودية الثانية ، الرياض ١٩٨٦ ط ٤ ص ١٦٨ .

٤٧ـ جريدة الزوراء ، عدد ٧٦٠ سنة ١٢٨٨ ـ ٢١ ربيع الثاني .

٤٨- جريدة الزوراء عدد ١٦١ ، ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٢٨٨هـ . وانظر تفصيل المعارك في الزوراء ، عدد ١٦٣ ، ٤ جمادى الاولى ١٢٨٨هـ ، الزوراء عدد ١٨٢ ، ١١ رجب ١٢٨٨هـ .

٤٩- مذكرات مدحت باشا ص ١٧٦ .
٥٠- جمال زكريا ، المصدر السابق ص ١٨٢ .
٥١- جريدة الزوراء عدد ١٤٠ ، ١٢ صفر ١٢٨٨هـ .
٥٢- عبدالعزيز نوار ، المصدر السابق ص ٤٣١ - ٤٣٢ .
٥٣جمال زكريا قاسم ، المرجع السابق ص ١٩١ .
٥٤- لوريمر ،المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٥٤ .

٥٥- لوريمر ،المرجع نفسه ج ٣ ص ١٤٥٤ - ١٤٥٥ .
٥٦- صرح مدحت باشا بانه ينظر نظرة أكثر شمولا واتساعا الى حدود سنجق نجد ، معتبرا ان هذه الحدود لا تضم منطقة الاحساء وحدها ، بل ايضا البحرين وقطر وساحل عمان وسلطنة مسقط ، انظر (جي ، بي ، كيلي ، الحدود الشرقية لشبة الجزيرة العربية ، ترجمة خيري حماد ، بيروت ١٩٧١ ص ١٤٢ .
٥٧- جامعة البصرة ، مركز دراسات الخليج العربي وثيقة رقم ٥ ملف ٧ ، بتاريخ ٢٩ جمادى الاولى ١٢٨٨هـ .
٥٨- هـ .ر .ب ديكسون ، الكويت وجاراتها بيروت ١٩٦٥ ص ١١٨ - ١١٩ .

٥٩- محمد عبدالقادر الاحسائي ، المرجع السابق ص ١٧٢ - ١٧٣ .
٦٠- مذكرات مدحت باشا ص ١٧٩ .
٦١- المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة الوزراء ، استانبول (ارادة داخلية) وثيقة رقم ٤٤٩٣٠ (ب) من مدحت باشا الى الصدر الاعظم تاريخ ١٢ شوال ١٢٨٨هـ .

٦٢- المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة الوزراء استانبول (ارادة داخلية) وثيقة رقم ٤٤٨٨٠ (أ) من مدحت باشا والي بغداد الى وزارة الداخلية ، وتاريخ ٢١ شوال سنة ١٢٨٨هـ .
٦٣- الوثيقة نفسها .
٦٤- مذكرات مدحت باشا ص ١٨٠ - ١٨١ .

٦٥- جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ص ٢٠٠ .
٦٦- مذكرات مدحت باشا ص ١٩٤ .

٦٧- محمد سعيد المسلم ، ساحل الذهب الاسود ، بيروت ١٩٦٢ ص ١٩٢ .

٦٨- لوريمر : دليل الخليج جـ٣ ص ١٤٧٢ - ١٤٧٥ .
٦٩- المرجع نفسه ص ١٤٧٧ .

٧٠- الوثيقة التركية: محفوظات استانبول ، اوراق الباب العالي برقية رقم ٢٠٩٨٥٩ بتاريخ ٢٥ آذار ١٣٢٢ . نقلا عن د. عبدالفتاح ابو عليه ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث ص ١١٦ - ١١٧ .
٧١- الوثيقة التركية ، محفوظات استانبول دائرة الاركان الحربية العامة الشعبة الرابعة في ١٩ آذار ١٣٢٢هـ ، رقم ٢٠٩٨٦٩ نقلا عن ابو عليه ، المرجع السابق ص ١١٨ .

٧٢- جمال زكريا قاسم: الخليج العربي ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .
٧٣- الزوراء ، عدد ٢٠٨ ، شوال ١٢٨٨هـ .
٧٤- المديرية العامة لدار محفوظات رئاسة الوزراء ، استانبول (ارادة داخلية) وثيقة رقم ٤٤٨٢٢ من
٧٥- مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، وثيقة رقم ٤ ملف ٧ ، شوال ١٢٨٨ هـ .

٧٦- في ٢١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٢٠م وقعت بريطانيا معاهدة جماعية مع شيوخ الخليج اطلق عليها اسم (معاهدة الصلح) وقد نصت هذه المعاهدة على ان تلتزم السفن التابعة للعرب برفع علم احمر وهذا يكون علم العرب الاصدقاء وتمتنع عن استعمال اي شعار آخر ، انظر خالد العربي ، الخليج العربي في ماضيه وحاضره ، بغداد ١٩٧٢ ص ٤٤ - ٤٥ .
٧٧- Kelly,J.B.,OP.Cit.,PP.730-731
٧٨- جمال زكريا قاسم ، المرجع السابق ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .
وعبدالعزيز نوار ،تاريخ العراق .. ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .

٧٩- صلاح العقاد ، المرجع السابق ص ١٧٨ - ١٧٩ .
٨٠- المرجع نفسه .
٨١- جمال زكريا قاسم ، المصدر السابق ، ص ١٩٠ ، محمد عرابى نخلة ، تاريخ الاحساء السياسى ، ص ١٦٩ .
٨٢- عبد العزيز نوار ، تاريخ العراق ... ، ص ٣٩٨ .
٨٣- المرجع نفسه ، ص ٣٩٩ .
٨٤- عبد العزيز نوار ، تاريخ العراق ... ، ص ٣٩٩ - ٤٠١ .

٨٥ - أمل ابراهيم الزياني، (الدكتورة)، البحرين من سنة ١٧٨٣ الى سنة ١٩٧٣، بيروت ١٩٧٣، ص ٥٦

٨٦- عبد العزيز نوار ، المرجع السابق ، ص ٤٠١ - ٤٠٣ .

٨٧- عبد العزيز نوار ، المرجع السابق ، ص ٤٠٧ .

٨٨- مركز دراسات الخليج العربى بالبصرة ، ملف رقم ١ تقرير شامل عن البحرين بتاريخ ٣ فبراير ١٣٢٧هـ عليه رقم ٤٨٢ جزيرة العرب الشرقية .

٨٩- الوثيقة نفسها .

٩٠- مركز دراسات الخليج العربى ، التقرير السابق .

٩١- المصدر نفسه .

٩٢- المصدر نفسه .

٩٣- مركز دراسات الخليج العربى ، وثيقة رقم ٤ ، ملف ٧ ، شوال ١٢٨٨هـ .

٩٤- الوثيقة نفسها ، وانظر كذلك مذكرات مدحت باشا ، ص ١٨٤ .

٩٥- الوثيقة نفسها .

٩٦- الوثيقة نفسها .

٩٧- أنظر قدرى قلعجى ، الخليج العربى ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٤٦٧ .

وأنظر كذلك I.O.R. / L/P I.S-18. Vols. 91-160 Nejd Expedition precices, paragraph 31, p. 35.

محمد عرابى نخلة ، المرجع السابق ، ص ١٧٨ - ١٨٠ .

٩٨- عبد العزيز المنصور ، التطور السياسى لامارة قطر ، الكويت ١٩٨٠ ، ص ٨٢ - ٨٣ جمال زكريا قاسم ، المرجع نفسه ، ص ١٨٠ .

٩٩- عبد العزيز المنصور ، المرجع السابق ، ص ٨٣ .

